أوهى من بيت عنكبوت

الدكتورة أحلام بيضون

لا أدري ما الذي يحدو بي هذه الأيام كي أفتكر بيت العنكبوت طويلا. لا شك أن تشبيه السيد حسن نصرالله لإسرائيل هو وراء ذلك، ولكن طالما سمعته وفهمت قصده بسهولة وهو اضمحلال إسرائيل بسرعة كما يضمحل بيت العنكبوت. ولكن كنت أقول في نفسي دائما أن نسيج العنكبوت هو متين جدا رغم ذلك، وأنه شرك توقع فيه العنكبوت كل ما يقترب منه وتلتهمه حين يأتي وقته. غير أني تيقنت الآن كم هو صائب ورائع ذلك التشبيه. فلا أحد يشك بأن إسرائيل اعتمدت في إقامة كيانها أحدث الوسائل التكنولوجية وأنجع البنى الاقتصادية والعسكرية، في هيكلية مؤساساتية تحاكي أكثر الدول حداثة ونموا. لكن الركائز التي أقيمت عليها تلك الدولة هي التي تشكل موضع نقاش. فإسرائيل كدولة أقيمت على أساس حجتين لا تستقيمان في إقامة الدول وهما: الحجة التاريخية والحجة الدينية. إن الدولة في القانون الدولي هي دولة مدنية، من أهم مميزاتها عدم التمييز بين مواطنيها على أي أساس كان؛ أما الحق التاريخي فلو كان يستقيم لفتح الباب واسعا أما العديد من الجماعات لتطالب بحقوق لها في بلاد تنتمي اليوم إلى غير شعوب: كمطالبة العرب بالأندلس، واللبنانيين بقرطاجة، والهنود بكل القارة الأميركية.

إن العنكبوت تختار عادة أماكن هندسية تلائمها لنسج بيتها كالزوايا، وكما تستند العنكبوت على أركان الأشياء، فإن إسرائيل تستند على الدعم اللامتناهي الذي تلقاه من العالم الغربي على وجه الإجمال ومن الولايات المتحدة على وجه الخصوص. إن إهتزاز الركن الذي تقيم به العنكبوت بيتها يؤدي إلى انعطاب ذلك البيت، كذلك الحال بالنسبة لإسرائيل. وخيوط العنكبوت صمغية تلتقط كل ما يقترب منها إلا الأجسام الصلبة. كذلك هي إسرائيل تظهر خطرة إلا لمن يعرف أسرارها.

اليوم إسرائيل الدولة هي في أضعف حالاتها، وضعفها متأت من اهتزاز مكانة حماتها على المستوى العسكري والإقتصادي. لكن أكثر من ذلك العنكبوت تبني بيتا في الهواء، يسهل اقتحامه وتلاشيه، كذلك الكيان الصهيوني هو قائم كبيت في الهواء، حيث لا أسس صلبة تحميه، فبالإضافة إلى انعدام الحجج

القانونية السليمة في إقامة دولة يهودية على أرض الفلسطينين وفي أملاكهم، فهي تقيم نظاما عنصريا، وتسعى منذ إنشائها جاهدة لدمج أفراد من جنسيات، ومن أصول مختلفة، ومن ثقافات مختلفة، لا يجمعهم سوى الدين، هذا إذا افترضنا أن كل اليهود الوافدين إلى إسرائيل يفقهون اليهودية، أو يمارسون الطقوس الدينية. إن انعدام الرابط القوي بين الوافدين من بلدان شتى وبين إقليم فلسطين يجعل من السهل عليهم مغادرة المنطقة عند أول تهديد ليس لحياتهم بل حتى لرفاههم. يقابل ذلك صلابة العلاقة بين الفلسطينين وأرضهم، فما يربطهم بها هو ذكرياتهم، وأملاكهم، وتاريخهم، وأخوتهم، وثقافتهم، فهم من شعوب هذه المنطقة تعودا عليها وتعودت عليهم دون انقطاع منذ آلاف السنين. إن عامل الإقامة الدائمة المستمرة لشعب من الشعوب على أرضه هو من أهم الأسس التي تبرر له تقرير المصير على أرضه في القانون الدولي. عامل الإقامة المستمر هو دليل على تعلق الإنسان بأرضه وارتباطه بها وإخلاصه لها، لذلك تشترط الدول في منح جنسيتها على طالبيها الإقامة الدائمة دون انقطاع والإستمرار بذلك، وإلا اعتبر طلب الجنسية احتيالا أو وسيلة لتحقيق مأرب آخر.

في الوضع الحالي حيث يصيب الكيان الإسرائيلي الوهن، بسبب الحروب الدائمة وعدم الإستقرار، وبسبب الأعمال العدوانية والإجرامية الفضيعة، التي لم يعد بإمكان الدول تغطيتها بعد أن ساعدت التكنولوجيا الحديثة والتطور في وسائل الإعلام في فضحها، وإظهارها عارية أمام الرأي العام الدولي، وبسبب هزائمها المتكررة في السنوات الأخيرة على أيدي رجال ذو بأس وإرادة، لا بد في المقابل من تمتين علاقة الشعب الفلسطيني بوطنه، وتأكيد تشبثه بحقوقه، ليس فقط الشعب الذي لا يزال قائما على أرض فلسطين وفي جوارها بل في كل أصقاع العالم. يتم ذلك عن طريق الحراك المستمر والواسع، والمطالبة بكل الوسائل من قبل اللاجئين الفلسطينين بالعودة إلى أرضهم واسترجاع أملاكهم. لا بد لذلك من تظاهر دائم ويومي، ومن تقديم الدعاوى من كل صاحب حق، والشكاوى في السفارات وأمام المحاكم المختلفة. يجب على الشعب الفلسطيني أن لا يستكين في تحركه ذلك. إن هذا الحراك لا يقل أهمية عن المقاومة بل وجوهها. لا بد أيضا من التشديد على أهمية التركيز على الطبيعة العنصرية للنظام الصهيوني والمطالبة بإزالته كما أزيل النظام العنصري من روديسيا ومن جنوب أفريقيا. حين ذاك سيصيب دولة النظام

الصـــهيوني العنصـــري الإجرامـــي مـــا يصـــيب بيـــت العنكبـــوت حـــين تلمـــه أدات التنظيف بما فيه وتلقيه في سلة المهملات.